



العموميات، السُّمُّ البَطِيءُ القَاتِلُ

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٥

www.coptology.org

العموميات، السُّمُّ البطيء القاتل

الأخ إيهاب جورج.

سلام ومحبة، وهذه ليست عبارة عامة، بل هي كلمات تعبّر عن واقع الحياة المسيحية التي تُكوّن الشعور والوعي والعلاقات الإنسانية. سلام من أصلٍ هو المصالحة وهي خدمة يسوع الوسيط، ومحبة من المحبة الثالوثية المستعلنة التي أخذناها وقبلناها في المسيح.

التعليقات هي نبض القراء جميعاً، وهو ما يجب أن نأخذه بكل اهتمام إلا ما خرج عن الآداب المسيحية أو المصرية. وهنا يا أخي لسنا بصدد مدح أو ذم أي إنسان، كلمات المديح مهما كانت لن يكون لها أي جدوى إلا إذا كانت فيها همسة حكمة وتشجيع.

الغنوسية مدرسة خاصة لها أساس لاهوتي شاذ، وهو تقسيم كل شيء إلى خير وهو ما هو روحي، وشر وهو ما هو مادي. وأول الشرور هو الجسد والطعام. المستنير هو الرتبة الثانية، وهم أولئك الذين يسعون للفكاك من الجسد بالابتعاد عن الزواج وأكل اللحوم وشرب الخمر وطلب الحكمة والاستنارة بنسكٍ معقّدٍ تجده في الكتاب المدون باللغة القبطية باسم الإيمان والحكمة *Pistis Sophia* كُتب رعا في القرن الثالث، والحكمة أي *Sophia* هي كائن مؤنث، وهو اسم الروح القدس عند الغنوسيين.

كان من الضروري كتابة هذه السطور لكي نحذّر كل القراء من العموميات، فهي سُمُّ بطيء قاتل للذكاء. أنا لا أقصدك أنت بالذات، ولكن لدينا مشكلة في التعليم، سبق الإشارة إليها أكثر من مرة، ولكن يبدو لي أن الأساس التاريخي لا زال غير واضح رغم صدور دراسة لنا بعنوان "المدخل إلى اللاهوت"، صدرت منذ أكثر من عشرين عاماً.

أولاً: التعليم تاريخياً، كان له شقان: الموعوظين والمؤمنين. وما ذكرته يا أخي عن التأله والتبني والإفخارستيا، هو خاص بتعليم المؤمنين الذين أخذوا بدايات الإيمان، أو الأساسات في حقبة الوعظ السابقة على إعداد هؤلاء للمعمودية، والتي تستمر بعد المعمودية. الموضوعات التي أشرت إليها يسبقها: خلق الإنسان — التجسد — الإنسان

صورة الله ومثاله - تحول الكيان في المسيح - الرب يسوع الوسيط - استعلانات الله والعهد الأول - الشريعة - الصلاة تحت العهد الأول - حاجة الإنسان إلى التجديد - مشكلة الموت - النمو الروحي - العهد الجديد والأخير - عمل الروح القدس في العهدين (القديم) الأول والجديد - المعمودية - المسحة - الصلاة في العهد الجديد - شركتنا في المسيح بالروح القدس - الإفخارستيا - الثالث.

هذا كله مدون في كتابين: الأول للقديس كيرلس الأورشليمي، والثاني لذهبي الفم. الأول هو تعليم الموعوظين الذين استعدوا لنوال سر المعمودية.

ثانياً: كان التعليم اللاهوتي بعد الموعوظين يتألف من قسمين: التدبير، أي خطة الله للخلاص، والنيولوجيا وهي طبيعة الله - الأقانيم - شركة الثالث - شركتنا في الثالث. التبرني كان موضوعاً هاماً في التدبير، ومعه أيضاً التأله.

الإفخارستيا كان التدريس يسبق المعمودية والمسحة ويستمر. بعد ذلك حدثت ثلاثة انخيارات: الأول هو شيوخ معمودية الأطفال بلا إعداد وتعلم. والثاني تدمير مدرسة الاسكندرية على يد الفرس ثم الفتح العربي. وجاء الانخيار الثالث محصلة لما سبق، وهو نقل التراث من اليونانية إلى القبطية بعد ٤٥١ ولم يصلنا تراثنا بالكامل بسبب فتوحات مصر - الأمويين - العباسيين - الأتراك العثمانيين وتدمير البنية التحتية لمصر والكنيسة في العصر العثماني، وهو أشر ما حدث في مصر.

نحن يا أخي لا نحتاج إلى التهكم أو السخرية، بل إلى العمل الشاق والجاد. في العصر العربي الذي يبدأ بابن المقفع ساويرس أسقف الأشمونين، كان لدى زكريا بن سباع التعبير العربي "أخلاق الربوبية"، وهو ما نقصد به التأله. أي الحياة الإنسانية المنسجمة مع حياة الله حسبما ورد في تعليم الرب في العظة على الجبل؛ لأن العظة على الجبل هي أخلاق الربوبية.

من اللغة العربية تسرّبت لدينا كلمات، بل ومعتقدات لا تعرفها المسيحية. والمثال الصارخ هو "العبادة"، وهي كلمة عبرانية - عربية. تعود إلى العهد الأول (القديم) ولكن الكلمة اليونانية προσκυνέω تعني السجود والكلمة الأكثر هي λατρεία وتعني خدمة وهي ψευδής وهي خدمة الثالث لنا لأننا لسنا عبيداً نخدم الله، بل يخدمنا

الابن أكبر خدمة في بذل ذاته عنا وتقديم حياته في سر الإفخارستيا.
المقارنة بين أسلوب أثناسيوس وأسلوب أريوس هي مقارنة ظالمة وعامة جداً،
ولذلك، العموميات سُمِّ قاتل لأنها سُمِّ بطيء لا نشعر به. فما هو وجه المقارنة، علماً
بأن المقالات الأربعة للرد على الأريوسيين للعظيم أثناسيوس، كُتِب أصلاً للرد على
أناشيد أريوس "الثاليا"، أو "المأدبة".

حسب تاريخنا العظيم، يجب أولاً تقديم موضوع الإنسان: الإنسان والثقافة –
الإنسان والحرية – الوعي واللغة – الصور المتعددة للذات الإنسانية.
وبعد ذلك: الموت، وهو الموضوع الأصلي، وليس الخطية.
يا سيد إيهاب، الخلاص هو خلاص من الموت، والموت هو الموضوع الأول،
والخطية هي الموضوع الثاني. هذا عكس الاتجاه العام السائد في مصر، وهو وافد إلينا مع
الإرساليات. ثم اغتراب الإنسان عن الله – عودة الشركة بإبادة الموت، أي كيف دُمِّر
الموت الكيان الإنساني، وكيف جاء المسيح بتجديد الكيان الإنساني؟

رجل الشارع:

رجل الشارع هو محصلة العصر الأموي – العباسي – التركي – الصراع
السياسي منذ ١٩١٩. رجل الشارع ليس هو ابن الأمس القريب، بل ابن الأمس البعيد
الذي تم السيطرة عليه إعلامياً منذ ١٩٥٢ مع استفاقة سبقت ٦٧ ثم إغماء ثقافي طويل
بعد ذلك لا زال ساري المفعول. كانت سلسلة الألف كتاب في عصر الرئيس عبد
الناصر، ثم المسرح القومي الخ وانهارت أدوات الثقافة، ولم يبق إلا المجلات والجرائد.
ثم جاء الهجوم على طه حسين ونجيب محفوظ – القمص متى المسكين – ومُنعت كتب
لويس عوض – أنور عبد الملك – عبد الرحمن بدوي – طبعاً جاءت شبكة المعلومات
بفتح ثقافي لم يكن متوقعاً.

لاحظ الفرق الهائل في أعداد مجلة الطليعة التي كانت تصدر من الأهرام طوال
عصر عبد الناصر، ثم بعد وفاة عبد الناصر ...

بلغة أحمد فؤاد نجم، "التسطيح" والطبقة السطحية هي الإعلام الذي أدخل

الكثير من موبقات الجهل والتعنت والرفض والعنف في الفضائيات التي كانت تطالب بهدم أبو الهول طوال عهد مرسي وهدم الأهرام وسرقة المتحف المصري وغيره من المتاحف.

تحديث الخطاب الديني المسيحي:

سمعت الرجل المحترم الرئيس عبد الفتاح السيسي مرتين يتحدث عن تحديث الخطاب الديني، ولاحظ أنه لم يقل "الإسلامي"، وهكذا ترك لنا نحن في الكنيسة أن نفهم الرسالة، ولكن حتى كتابة هذه السطور لم أقرأ ما يستحق الإشارة إليه. ليست العودة إلى التراث فقط، بل كما قال اكليمنضس السكندري في سنة ١٩٠: "الحوار هو أول خطوة لمعرفة الحقائق"، فليس هناك مجلة علمية تاريخية للحوار. مجلة مدرسة الإسكندرية ذات مستوى عال من ثقافة ومعرفة رائعة، ولكن باب الحوار مغلق خوفاً على سلطان الإكليروس.

لنا عودة يا أخي مع تحديث الخطاب الديني المسيحي.

د. جورج حبيب بباوي

١٩ إبريل ٢٠١٥